صوت المرأة المسلمة

العدد : ١٨٨ الموافق في ذو القعدة ١٤١٧ هجري ٤ / ١٩٩٧ ميلادي

رسالة إلى جميلة البوسنوية : عجزك الأسير – إرادتي القوية	بقلم : سها عبد الحميد أحمد

يعم فضاء العالم الإسلامي صمت المأساة التي تَوهّج شَعرها شيباً

صمتٌ صوته أنين متمرد وعويل يبحث عن حملة إنقاذٍ جذرية... عبثاً يحاول.

يعلو صوت هذا الصمت كقرع طبول مذعورة صارخاً في مسامع العالم منذراً بالخطر ، فإن كانت في غفلة فهي لا تنصت إليه لأنها لا تتذوق نكهة هذه اللغة ، وإن كانت مسامع المسلم الجمهور فهي تكتفي أن تتأمل وتتألم ، وإن كانت آذاناً يقظة تحس بخطورة زمننا الخاص الذي انتهكت حرمته فيستقر في مسامعها صوت ضرب السياط التي تنهال على جسد العالم الإسلامي بلا توقف... بلا رحمة... وتراه متمرداً على هذه الجريمة... غاضباً من صاحب هذا الجسد المستسلم وكأنه تخدّر من الوجع أو ألفَ السقم فما عاد قادراً على العافية.

وأنت سيدتي... مسلمة اليوم... أنت والدة هذا الجسد ورَحِمُ التمرد المنتظر... وعلى يدك سيكون الخلاص الأكيد الذي لا يعرف الاستحالة. مسلمة اليوم التي نضج جنينها واكتمل وحملته وهناً على وهن وآنَ الأوان لأن يسمع العالم صرخته الأولى فلا هي قادرة على طرده من خلاياها ولا هو عالمٌ بكيفية مفارقة هذه الرحم المهدودة من ضرب السياط ، ونحن جميعاً بانتظار الولادة.

نعم سيدتي... أنت نواة الخلاص... وأصل من أصول البداية... لن يجرؤ على ادّعاء قدرتك قادر... إسألي فجائع العالم الإسلامي وغياب المعتصمين المذهل وكنوز التاريخ... وسيأتيك الجواب اليقين

عندما دخلتِ بيتي للمرة الأولى رأيت في ملامح وجهك الميزان الذي تتعادل فيه الكفتان حتى ولو وضع في كفة منه وزن الدينار ذهباً وفي الكفة الثانية دمعتك المحنطة فهي أثقل من عبء العالم بأسره... ولم ولن أقبلك كخادمة فأنا مسلمة بسيطة وأنت مسلمة مقهورة... صدقيني جميلة ، لم أسأل نفسي بأية لغة نتفاهم... ما كان الكلام حاجزاً بيننا فنحن المسلمين على اختلاف ألسنتنا وبالرغم من كثرة الحدود بين مسافاتنا وتنافر ألوان مصائبنا أصبحنا نفهم لغة الجلاد المستحدثة... اللغة التي لم تجرؤ على الاقتراب من عتبة لغات العالم الراقية منها والهمجية والتي اقتحمت أسوار لغتنا وتسلقتها دون عناء... صدقيني لم يكن الكلام حاجزاً بيننا ، لكني أحسست بالغيرة تعصف في ضميري ، فأنت بعمر والدتي ولم أكن أحب يوماً أن أتبادل مع أمي الأماكن.

طرقتِ بابي تدفعك الحاجة لترممي ما خرّبه صربيٌّ قذر... لقد مزق سجلات تاريخك الخاص دون إذن منك... واقتلع جذورك وقطف ثمارك دون حولٍ لك ولا قوة وسلبت حق التشبيع لكنك تملكين حق الولادة... أنتِ مسلمة اليوم التي لا يحس العالم بثقل حبك ووزن عطائك وحرمة أحاسيسك. في الأمس كانت لمشاعرك الصدارة.

هل يكفيني أن أخاف على ما تركوا لكِ من كرامة فأركض كالمذعورة وأطبق بيت الخلاء بقوة وأقول لك بإصرار هذا المكان لا يحتاج إلى تنظيف وأكتم مشاعري بصرامة ؟

هل تكفيك بضعة أوراق نقدية أدسُّها في يدك وأنا أشعر بالعار الذي ينساب عرقه على جبين العالم الإسلامي... وأنتِ الضحية تحاولين جمع ثروة قزمة أمام عمالقة الأشلاء المحطمة ، لتبني لشخصك المصدوع سقفاً جديداً ، تجلسين تحته في ظلام جائر ، قابعةً مع مأساتك التي خيب أملها مجيء المعتصم المنتظر... عذراً سيدتي لضعف عطائي ، لكنك ضحية وأنا مسؤولة ، لن أقف مكتفة الأيدي

فعجزك الأسير إرادتي الحرة. صوتك تغلغل في دماغي واستقر في قلبي ودموعك وقود عملي ، ولن أسمح لسرطان الكفر أن يأكل خلاياك بنهم ووحشية. ولن أسمح أبداً فأنتِ جميلة البوسنوية الضحية وأنا المسلمة التي تعرف ماهية هويتها جيداً... أمنحك حياتي وأشهد العالم... سيدتي مسلمة اليوم أنا على يقين أننا صاحبات الولادة ، ومن غير علمنا وعملنا لن يكون للصحوة الإسلامية قيادة.

علينا أن نعيد ولادة ألف معتصم
وتربية مئات العمرة
وإرضاع الإسلام لملايين العبادلة قولاً وعملاً
علينا أن نرفض ونتمرد على إنجاب غثاء كغثاء السيل
عندها فقط سيكون عويل صمتك حضارة
وسيصبح بكاؤك سعادة
وسيغدو مضمونك شهادة
سيدتي مسلمة اليوم إذا أيقنت أنك رحم الدعوة
ولبن العلم ومصنع الرجال ستكون البداية
عندها فقط لن تكوني كمّاً هائلاً من الضحايا... وستكونين الولادة
سامحيني جميلة لقد رفضتك خادمة لأنه لا يمكنك إلا أن تكوني سيدة.